

حول دلالة «عَمْرٌ» في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي

للكاتبة الدكتورة
عبد الرحمن
(الجامعة الأردنية)

آراء سابقة

ترد «عَمْرٌ» (بفتح العين وتسكين الميم) في بعض أساليب العربية
فتفيد القسم أو الدعاء : فقد وردت في الشعر الجاهلي ، وجاءت في
القرآن الكريم في قوله تعالى : « قَالَ هؤلاء بناتي إِنْ نَعْتَمَ فَأَلانُ
لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ . نَأْخُذْتَهُمُ السَّيِّئَةَ مَثْرَفِينَ » (١) ،
وأتت في الأدب الإسلامي شعره ونثره في القديم والحديث .

فما معنى «عَمْرٌ» ؟

يقول الجوهري وابن منظور والزبيدي والفيروز أبادي من أصحاب
المعجمات : « العمر بالفتح والضم وبضمين : الحياة . يقال : قد طال
عُمُرُه وعُمُرُه لغتان فمسيحتان ، فإذا اقسوا قالوا : لَعَمْرُكَ ، فتعوا
لا غير » (٢) .

ويتفق علماء التفسير مع أصحاب المعجمات في دلالة «عَمْرٌ» ويرون
أن (كَمْرُكُ) في الآية الكريمة تعني (حياتك) ، « نالِعَمْرٌ وَالْمَمْرُ وَالِدُ
غَيْرِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الْقَسْمِ إِلَّا بِالْفَتْحِ ؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ أَهْلُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ

(١) الحجر ٧١-٧٢ .

(٢) المساح ولسان العرب وتاج العروس والقاموس - مادة عَمْرٌ .

يكترون القسم بِلَمُعْمَرِي وَعَمْرِك ، فلزموا الأُخْفَّ « (١) . واختلفوا في المقسود بالخطاب : أهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه تعالى أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد غيره (في رأي ابن عباس رضي الله عنه) أم هو لوط عليه السلام أي قالت له الملائكة : لعمرك .

ويذكر أبو الهيثم الرازي أن النحويين ينكرون قول المفسرين ، ويقولون : معنى أَمْرِك : لديك الذي تُعْمَرُ (٢) . وينصرف ظني إلى ما ذكره أبو الهيثم بأنه من قبيل الرأي الخاص الذي لا يستغرق جمهور النحويين : فقد ربط سيويوه في باب المصادر التي تنصب باضمار الفعل المتروك اظهارة بين (عَمْرَكَ اللهُ) و (عُمَرْتُكَ اللهُ) (٣) مما يرمي إلى أن عمراً عنده معنى العُمُر . وربط المبرد بينهما أيضاً (٤) ، وقال : « والمراد بِالْعُمُرِ التعمير ، فالمعنى أقسم بتعميرك الله أي بإثرائك له بالدوام والبقاء » (٥) .

وناقى هذا أيضاً عند أبي علي الفارسي (٦) والاختفش (٧) وابن الشجري . قال ابن الشجري : « والعُمُرُ بمعنى العُمُر مصدر قولهم عَمِرَ الرجل وَعُمِرَ إذا امتد بقساؤه ، ولكنهم لم يستعملوا في القسم إلا المفتوح » (٨) .

-
- (١) جامع البيان ١١ : ٢٠ . وتفسير غرائب القرآن ١٤ : ٣٠ . والتفسير الكبير ١١ : ٢٠٣ . ومجمع البيان ١٤ : ٣٥ ، وتفسير التبيان ٦ : ٣٤٨ ، والكشاف ٢ : ٢٦٦ ، وجواهر الحسان ٢ : ٢٩٧ .
- (٢) لسان العرب . ونج العروس - مادة عمر .
- (٣) الكشاف ١ : ١٦٢ .
- (٤) المنتخب ٢ : ٣٢٨ .
- (٥) الإمامي الشجرية ١ : ٣٤٩ .
- (٦) نفسه ١ : ٣٤٩ .
- (٧) لسان العرب ونج العروس - مادة عمر .
- (٨) الإمامي الشجرية ١ : ٣٤٨ .

وجرى على هذا غيرهم من النحويين كالبخاري وابن يعين
والسيوطي . قال البخاري في اعراب بيت المتكلم الهذلي :

لُعْمَرِكَ مَا رَأَى ابْنُ مَالِكٍ
بِوَانٍ وَلَا بِسَمِيحٍ تَسْوَاةً

« عَمْرِكَ بالفتح بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف اي تسوي (١) .
وقال ابن يعين : « والعمر والعمر : البقاء . تقول : بعمر الله » (٢) .
وقال السيوطي : « عَمْرَكَ الله : من عمر الرجل بالكسر يعمره ، وعمرأ
بفتح العين وضهما : اي عاش زماناً طويلاً » (٣) .

وثمة رأي لابي العلاء المعري ساقه ابن الشجري في املية .
وذكر انه اخذه من شرح ابي زكريا يحيى بن علي التبريزي لشعر ابي
الطيب المتنبي . قال ابن الشجري : « وذهب ابو العلاء المعري في
قولهم : عَمْرَكَ الله الى خلاف ما اجمع عليه ائمة النحويين : التاكيد
ومسيبويه وابو الخليل الاخفش الكبير وابو الحسن الاخفش الصغير
وابو عثمان المازني وابو عمر الجرمي وابو العباس بسند من يزيد وابو
اسحاق الزجاج وابو بكر بن السراج وابو علي الفارسي وابو مسعود
السيرافي ، وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين ، فزعم ان العمر بالفتح
من قولهم : عمرت البيت الحرام اذا زرته . وقال : ومنه اشتقاق الاعتناء
والعمره ... قال : ويحتمل ان يكون عمرك مأخوذاً من عمرك الدار
من العمارة اي بعمرك المنازل المشرفة بذكر الله وعبادته » (٤) .

فنحن امام عدة آراء في دلالة عُمْر :

اولها : واشهرها ان عَمْرًا هي العمر .

وثانيها : ان عَمْرًا هي الدين .

(١) الخزانة ٤ : ١٤٧ .

(٢) شرح المفصل ١ : ١٢٠ .

(٣) شرح شواهد المفني ٨٨٤ .

(٤) الامالي الشجرية ١ : ٣٥٢ .

وذلكها : ان عُمُرًا تعنى الزيارة أو العمارة .

وعُمُرٌ في هذه الآراء جميعاً مصدر .

٢

عمر بمعنى رَبِّ

وما ادري لماذا انصرفت اذهان علمائنا الأفاضل الى المصدر ولم تتوجه الى الصفة المشبهة ، فعمر من صيغ المصدر والصفة المشبهة ، وما دامت قد وردت في معرض القسم فقمين ترجيح الصفة على المصدر . وعُمُرٌ في هذا التوجيه تدل على باق دائم مع الزمان .

اقول : لماذا انصرفت اذهان علمائنا الى المصدر ولم تحظ المماني الكثرة التي أوردها أصحاب المعجمات في مادة عمر بأي اهتمام ؟ اتراهم لا يجدون علاقة بين (أَعْمُرُك) والعُمُرُ بالضم وهو المسجد والبيعة والكنيسة (١) أم لا يجدون صلة بين (عَمَّرَ اللهُ) والعمر بالضم والفتح وهو النخل السحوق الطويل (٢) أم بين (لعمرى) والدار المعمورة بالجن (٣) .

واقول : ما دامت (عمر) وردت في معرض القسم (وقد تأتي في معرض الدعاء) فقمين ترجيح الصفة على المصدر ، وعمر في هذا التوجيه تدل على ربٍّ باقٍ دائم مع الزمان ، وهذه صفة الباقي الدائم عند المسلم الوكّاب ، وصفة الأرباب الذين لا يخرتمهم الموت عند الجاهلين .

(١) ناه العروس - مادة عمر .

(٢) ناه العروس - مادة عمر .

(٣) ناه العروس - مادة عمر .

(٤) اقول : هي صفة من صفات الله عز وجل وايسر من أسمائه تعالى ، ولذلك

قال الزبيدي في ناه العروس : « وافضل البقاء على العمر وصف الله تعالى به

« وعمره بالكلية » .

عبد عمرو

عبد عمرو علم من اعلام الرجال في العصر الجاهلي . وهو علم من
مختص برجل كان عبداً لسيد اسمه عمرو ، وغير متصور على رجل في
قبيلة او على رجال فيها ، بل هو علم يتردد في قبائل متعددة . وما
ابتغى ان اتقرى من سبوا بعبد عمرو في الجاهلية ، وانما اروم ان
يستذكر القارئ معي نفراً منهم عرضوا في دروس الادب والتاريخ :
فنستذكر من قريش عبد عمرو بن سيفي النعمان (١) الذي عرف بأبي
عامر الراهب ، وكان يناظر اهل الكتاب ويتبع الرهبان ، ويكثر الشخوص
الى الشام . ونستذكر من قريش ايضا عبد عمرو بن نضلة بن مالك بن
سليم بن غبشان الذي اورده ابن حبيب في المنمق (٢) ، وعبد عمرو بن
نوفل بن عبد مناف الذي اورده ابن دريد في الاستنطاق (٣) .

ونستذكر من بكر عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد الذي اتصل
اسمه في دروس الادب بطرفة بن العبد ، اذ كان من ذوي قرابة طرفة ،
وزوج اخته الخزنيق في بعض الروايات ، وواحداً من مناسفة عمرو بن
هند ، وهو الذي اوقع بطرفة تلك الوثيمة التي اودت به ، واياء على
طرفة إذ قال (٤) :

فيا عَجَباً من عبدِ عمرو وبَغِيهِ لقد رامَ ظلمي عبداً عمرو مثلَها
ولا خَيْرَ فيه انْ له غِنَى وانْ له شُكْماً اذا قامَ اُتْسِماً (١)
يَنْلُ نساءَ الحيِّ يُعْكُنْ حوله يتانَ عَسِيبٌ من سَرارةِ اَهْـمِـا (٢)

(١) نسب قريش ٢٨١ ، والاستنطاق ٦٦ ، والفصل في تاريخ العرب ٨ : ٢١٢ .

(٢) ٢٩٦ ، (٣) ٨٨ .

(٤) الكشح : الخَصْر . والاهضم والهنيم : الضارب .

(٥) العسيب : الجريدة من النخل استقامت ودقت وكثبت خوصها . وسرارة باهم :

خير مواضع ملهم وأكرمها . وملهم : جنة نخيل كانت في الرابية وتردد فكرها في
الشعر الجاهلي .

وقد عدّه ابن حبيب في العرجان الاشراف (١) .

ونستذكر في طيء عبد عمرو بن عمّار الطائي (٢) الخطيب الشاعر كما ذكر الجاحظ والمرزباني ، او البليغ كما وصفه ابن سعيد في نشوة الطرب . وفي قتاله خلاف بين العلماء . وهو الذي رثاه أبو قردودة الطائي ، ومن رثائه :

إني نُهِيتُ ابنَ عمّارٍ فماتُ له : لا تُقَرِّبَنَّ أحمَرَ العينين والشَّعرَةَ
إنَّ الملوِكُ متى تنزَلُ بساحتِهِمْ تَطْرُقُ بثوبِكَ من نيرانِهِمْ شَرْرَهُ

وفي رواية البيت الثاني اقوال كثيرة .

ونستذكر في عامر عبد عمرو بن شريح بن الأحوص (٣) ، وهو من الشعراء الذين ازوروا عن المنافرة المشهورة بين عامر بن الطفيل وعائمة بن عائشة ، فقال :

أحى الله وفدينا وما ارتحلا به من النبوة الباقي عليهم وبأهلها
إلا إنما ترمى صفاة منينة أبي الضيم أعلاها وأثبت حالها

ونستذكر في كالب بكر بن وائل الكلابي الذي « كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكراً (٤) » .

(١) الحبير ٣٠٤ .

(٢) انظر : أسماء المغتالين ٢٢١ (نوادير المذاهبات) ، والبيان والتبيين ١ : ٣٦٢ ،

والطائي ٢٣ : ٥٤٠ ، والاشتقاق ٣٩٥ ، ومعجم الشعراء ، ونشوة الطرب ٦٣٢ ،

وبعجة الجالس ١ : ٢٤١ . وقد ورد في معجم الشعراء : عمرو بن عامر .

(٣) الانشائي ٢٢ : ٢١٦ . وانظر قول مروان بن سراقة ٢١٨ :

وعبد عمرو منع الفئاما في يوم فخر معلما اعلاما

والفئام : الجماعة من الناس . والمعلم : الفارس يعارض الفرسان ويضع علامة

في المركبة تحديا .

(٤) الاسماوية ١ : ١٦٧ ، ترجمة ٧٢٣ .

فإذا كان عبد عمرو علماً شائعاً في العصر الجاهلي ، وإذا كان العلماء يستدلون بما عبّد من الاعلام الجاهلية على ارباب الجاهليين كعبد شمس وعبداللات وعبد وُدّ وعبد العزّي وعبد مناف وعبد يخوت وعبد الشارق ، فهل لي ان افترض ان عمراً ربّاً من الارباب ؟

لا احتاج الى عناء كبير كي ادفع عن نفسي هذا الانتراض السامع لأسباب :

اولها : انه ليس بين ايدينا — بل ليس بين يدي — ما يثبت وجود ربّاً مخصوص من ارباب الجاهليين اسمه عمرو . فقد طلّفت ما طلّفت ، ورضيت من الغنيمة بالاياب كما يتول الشاعر الجاهلي .

وثانيها : انه قد تمّ القسم بمعمر في القرآن الكريم ، فمحال ان يكون القسم بربّاً مخصوص غير الله في القرآن الكريم .

وثالثها : ان عمراً قد وردت مضانته في الشعر الجاهلي . وهذه الاضافة تبعد — ولا تنفي — ان يكون عمرو علماً ؛ لان الاسل في الاضافة ان تجيء للتعريف او للتخصيص ، وليست عمرو — اذا كانت علماً — معوزة اليها . اما انها لا تنفي فلان الاعلام قد تضاف في احوال لا مجال لذكرها الان ، فقد اختلف عمرو ابن قميئة مثلاً (وُدّاً) الى كاتب الخطابية فقال (١) :

بِوَدِّكَ مَا قَوْمِي عَلَىٰ أَنْ تَرَكْتَهُمْ مُسْلِمِي إِذَا عَبَّتْ سَمَالَ وَرِيذَهَا

وَوَدّ اسم احد ارباب الجاهليين كما تعرف .

يمكن ان تكون عُمَرُ في عبد عمرو بمعنى (رَبِّبٌ) ولا يمكن ان يكون معناها العُمُر — بضم العين — كما قال طحاؤنا .

(١) الديوان ٢٣ .

ولكن ينبغي على هذا الإمكان إمران :

أولهما : أن اسم عمرو من أسماء الرجال في الجاهلية والاسلام ، وهو علم يفوق عبد عمرو عددا . فأنّى لعمر أن تكون بمعنى ربّ وأن تكون علما من أعلام الرجال ؟

وثانيها : أن القرآن الكريم لم يورد العَمْرُ من أسماء الله عز وجل . وهذا الاعتراض مشاكه الاعتراض على رأي ابن الشجري في (قَعْدُكَ أن لا تفعل كذا) و (قَعِيدُكَ أن لا تقوم) و (قَعْدُكَ الله) و (قَعِيدُكَ الله) إذ قال : « معنى القَعْد والقَعِيد: الرقيب الحفيظ من قوله تعالى * عن اليمين وعن الشمال قَعِيدٌ * (١) أي رقيب حفيظ . فِقَعْدٌ وقَعِيدٌ في هذا القول كخَلٌّ وخَلِيلٌ ونَدْبٌ ونَدِيدٌ ونِسْبَةٌ وشبيهه . فإذا كان كذلك فهما من صفات القديم سبحانه وتعالى فهو الرقيب الحفيظ . فإذا قلت : قَعْدُكَ الله مقعديك الله على هذا المعنى نصبت اسم الله على البدل » (٢) .

ويمكن الرد على الاعتراض الأول بالقول : أن كلمة (رَبِّ) تدل في العربية دالة على رب معبود وعلى انسان كما نرى مثلا في قوله تعالى * قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربّي اني تركتُ دلة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كالفرون * (٣) وبعد هذه الآية الكريمة بأربع آيات قال تعالى * وقال للذي ظنّ انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطانُ ذكْرَ ربّه فابث في السجّين بضغّة ستون * (٤) .

(١) ق ١٧ .

(٢) الامالي الشجرية ١ : ٢٥٢ .

(٣) يوسف ٢٧ .

(٤) يوسف ٤٢ .

وقال النابغة الذبياني (١) :

تَخُبُّ الى النعمانِ حتى تَنالَهُ فِدَى لكَ من رَبِّيَ طَرِيفِي وَتَالِيفِي (٢)
فقد وردت (رَبِّ) في الآية الاولى لله المعبود ، ووردت في الثانية للانسان ،
ووردت في بيت النابغة للانسان ايضا . وهذه مسألة مكتشفة لا يحل
التلبُّث معها .

والاشترار في الاسماء بين المعبود والعايد قائم في الجاهلية
والاسلام . الا ترى الى الجاهليين قد تَسَمَّوا بِقَيْسٍ وَهَبِلٍ وَتَسَمَّوا
بعبد قيس وعبد هبل ، وقيس وهبل من اربابهم لا ثم الا ترى الى
المسلمين قد تَسَمَّوا بهجيد وعبد المجيد ، بل الا ترى الى الخليفة
العباسي موسى ابن الخليفة المهدي كيف تلقب بالهادي ، تغاب الاسم
وشاع اللقب .

ويمكن الرد على الاعتراض الثاني بالقول : لقد فرَّق القرآن الكريم
بين صفات الله وصفات الخلق بإدخال (ال) التعريف على صفات الله
وحذفها في صفات الخلق ، فالله هو العزيز الجبار الرحمن الرحيم ،
الانسان فعزير وجبار ورحمان ورحيم .

وهذه الصفات المخصوصة لله تعالى هي أسماء له عزَّ وعلا لها
الصفات المرادفة لها التي لم يرد فيها نص فليست من أسمائه : فذلة
(خالد) مثلا تعني باقيا دائما (٣) ، فالباقي هو الله ، والدائم هو الله ،
والخالد ليست من أسماء الله على الرغم من ان معناها الباقي الدائم .

واذا كان يمكن ان تعني عَمْرٌ في عِبْدِ عَمْرٍو رَبِّياً ، فان هذا الامتنان
يتعلق بسنة مرتبطة بالزمان . فهل يمكن ان ترتبط بالمكان اي ان معنى
بيتنا محبورا ؟

(١) الديوان ١٢٠ .

(٢) الطريف : المال الجديد المكتسب . والثاليف : المال الموروث عن الآباء .

(٣) المحيط - مادة خالد .

يمكن أن نفترض هذا الافتراض ؛ لأن بعض الجاهليين يسمون عبد الكعبة (١) ، وبذلك لا يكون عبد عمرو عبداً لرب بل عبداً لبيت رب .

ويعترض هذا الافتراض امران :

اولهما : ان عمراً قد جاءت في عبد عمرو بفتح العين ، واذا كانت بمعنى البيت تجيء بضمها كما ذكر اصحاب المعاجم .

وثانها : ان عمراً قد جاءت نكرة ، ولو صح هذا الافتراض لجاءت عبداً عمرو عبد العُمُر او عبد العُمُر .

ويمكن ان يرد على الاعتراض الاول بأن ورود عُمُر بضم العين للدلالة على المكان لا ينفي جواز فتح العين كبيت ووكُر وبحر ، وغيرها كثير .

{

عُمُر مضافة الى ضمير في الشعر الجاهلي

ترد عُمُر في الشعر الجاهلي مضافة الى ضمير المتكلم كقول النابغة (٢):

لَعُمْرِي لِنِعْمِ الْحَيِّ صَبْحٌ سَرِينَا وابياتنا يوماً بذاتِ المرادِ

(١) كعبد الكعبة بن عبد المطلب . انظر نشوة الطرب ٣٣٢ .

(٢) الديوان ١٣٨ وانظر ص ٢٤ ، وديوان امرئ القيس ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٠٩ . وديوان الحارث ٨ ، ٢٤ ، ٢٤٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، وديوان الاعشى ١٤٩ ، وديوان اوس بن حجر ١١٨ ، وديوان قيس بن الخطيم ١٢٧ ، وديوان المطلب ٢٣٥ ، وديوان برمجة بن الرود ٩٥ ، والمفضليات (شعر منم بن نويرة) ٢٦٥ ، ٢٧٢ و (شعر عبد السبع بن عسلة العبدي) ٣٠٤ ، وديوان الهذليين (شعر ابي ذؤيب) ٩ ، ١٤١ ، وشعراء التمراتوة (شعر الحارث بن عباد) ٢٧٢ و (شعر كعب بن سعد الغنوي) ٧٤٦ ، ٧٤٩ .

وترد مضافة الى ضمير المخاطب او المضامين كقول زهير بن ابي سلمى (١) :

لَعْمُرِكَ وَالْخَطُوبُ مَنِيَّرَاتٌ وَفِي طُغُولِ الْمَعْتَرَةِ التَّغَالِي
وَيَقُولُ هُنَيُّ بْنُ أَحْمَرَ الضَّمُرِي (٢) :

هَذَا لَعْمُرِكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا أَبُ

ولم أجد فيما استقرت من نصوص إضافة الى ضمائر الغائب . وما أدري إن كان الجاهليون لا يضيفونها الى الغائب او ان هذا تنس في الاستقراء . واجدني مع الطرف الاول أميل : لانني قد استقرت جل دواوين الشعراء الجاهليين فلم أجد فيها إضافة غير الى الغائب .

وتلفت في القسم بعمر في هذا الموضع عدة امور :

اولها : ان الشاعر الجاهلي يقسم بعمر — في الغالب — فيما يقول من الامور ، وهذا يفرض او يستتبع جلال المقسم به . وقد نص النابغة الذبياني ان عمره غير هين عليه حيث قال : (٣) :

(١) الديوان ٢٤٢ وانظر من ٢٦١ وديوان امرئ القيس ١١٢ ، وديوان الاعشى ١٥ ، ٦٥ ، ٨٢ ، ٢٦١ ، وديوان بشر بن ابي خازم ١١٥ ، ١٢١ ، وديوان طرفة بن العبد ٥٢ ، ٦٤ (المعلقة) ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٢٨ ، وديوان عبيد بن الريم ٥٤ ، ٧٨ ، وديوان الحطيئة ٦٢ ، ٦٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، وديوان امرئ بن شعير ١٦ ، ٢٢ ، ٤٩ ، ٦١ ، وديوان عمرو بن تميمة ٦ ، وديوان الماردة ٢٠٠ وديوان النابغة ١١٢ ، والفضليات (شعر افنون التثليبي) ٢٦١ و (شعر الحارث بن ظالم) ٣١٥ ، و (شعر الحارث بن ظالم) ٣١٥ ، وديوان الهذليين (شعر ابن ذؤيب الهذلي) ١ : ٣٥ ، ٩٢ و (شعر ساعدة بن جؤبة) ٢ : ٢١٨ ، و (شعر ابن خراش الهذلي) ١٧١ : ٢ ، و (شعر صخر النقي) ٢ : ٦٢ و (شعر المنخل الهذلي) ٢ : ٢٩ ، وشعراء النصرانية (شعر افنون التثليبي) ١٦٢ ، ١٦٤ و (شعر ذوق الاسيع العدواني) ٦٣٧ و (شعر الحسين بن النعمان الرزي) ٧٢٢ .

(٢) نشوة الطرب ٢٨٢ .

(٣) الديوان ٢٤ .

لَعْمَرِي ، وما عَمَرِي عليّ بهيّنٍ لقد نَطَقْتَ بَطْلاً عليّ الاقارعُ
وما إخال أنَّ عَمْرَ الشاعر — اذا اخذنا رأي العلماء — الذي يكثر
الشعراء الجاهليون من التفدّي به ويعمر آبائهم وأجدادهم — فمدتك
نفسى ، وفدتك أبي وجدّي — من القسم العظيم .

فأخبر بهذا القسم ان يكون بربّ الشاعر غير الهيّن عليه . ٢٢
وذاتيهما : ان القسم بعَمْرٍ يكثر في الحكمة المرتبطة بالآوت وطوارق الايام
وحدثانها ، كقول أبي ذؤيب الهذلي (١) :

اعمرُك ، والناسيا غالباتٌ لكلّ بني ابٍ منها ذنوبٌ (٢)

وكقول طرفة بن العبد (٣) :

اعمرُك ان الموت ما اخطأ الفتى

لِكا لَطُولِ المُرُخَى وَتُذْبَاهُ بِالْيَدِ (٤)

فأخبر بهذا القسم ان يكون بربّ بملك الموت والحياة من ان يكون
بالعَمْر ، الا اذا جاء القسم بالعَمْر تُبالة الموت من قبيل نعمي الذات او
من قبيل الطواق السالخر .

وذاتانها : ان القسم بعَمْرٍ يأتي أونا في معرض الهجاء وان ضمير الخطاب
يرتد الى المهجو كقول الاعشى في هجاء الحارث بن وَعَلَةَ بن مُجالد
الرقائشي : (٥) .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٦٢ . وقد ورد صدر البيت عند شاعرين هذليين آخرين هما

أبو خراش وجاء المعجز عنده * على الانسان تطلع كلّ نَجْدٍ * (ديوان الهذليين

٢ : ١٧١) ، وصخر الفى وأتى المعجز عنده * وما تُغْنِي التميماتُ الحياما *
(ديوان الهذليين ٢ : ٦٢) .

(٢) المشهور : الطور المعانيبة .

(٣) من المعانيبة .

(٤) الطول : العطل قريباً به الدابة احد طرفيه في الوتسد وذاتيه في يدها .

(٥) الديوان ٦٨ .

لِعَمْرِكَ مَا اشْبَهَتْ وَعَلَّةٌ فِي النَّدَى

شِمَالِكُهُ وَلَا إِسَاءُ الْمُجَالِسِ

فكيف يستقيم أن يتسم الاعشى بعمْر من يهجره ؟
ورابعها : ان عدم اضافة عَمْر الى تسمير الغائب فيها استغريب من
نصوص جاهلية يبعد ان تعني عَمْرُ العَمْرُ ويدني (رِأً) ، فتنسب
الغائب تد يعود في العربية الى الله ضمنا ، كتولنا : فمعه وبتكرمه
ففهم ضمنا ان التسمير يعود الى الله ، وكالاسماء عَمْرُهُ ، وسَمْعُهُ وِعَمْرُهُ ،
فكأن الشاعر الجاهلي تد خشي من ان يلتبس تسمير الغائب اذا قال :
(لِعَمْرِهِ) بين الغائب المعبود والغائب العابد .

وهذا تعليل يحتاج الى تمحيص !

عَمْرُ مضافة الى اسم غير لفظ الجلالة

وترد عَمْرُ في الشعر الجاهلي مسبوقه باللام ومضافة الى اسم :
الاب (لِعَمْرِ ابيك) عند زهير بن ابي سلمى (١) وعبيد بن ربيعة
خُفَّاف (٢) والنمر بن تُوَلَّب (٣) وقبيصة بن النسراني (٤) .

والجد (لِعَمْرِهِ جَدِّكَ) عند الاعشى (٥) ، والعلم (لِعَمْرِهِ ابي عمرو) عند
صَخْر الغنوي (٦) واسم مغرَّف (لِعَمْرِهِ البياكيات) عند الحُصَيْن بن النعمان (٧) .

(١) الديوان ٢٠٩ .

(٢) المنظومات ٢٨٦ .

(٣) شعره ٣٣ .

(٤) شعراء النصرانية ٩٦ .

(٥) الديسان ٢٢٢ .

(٦) ديوان الهذليين ٢ : ٥١ .

(٧) شعراء النصرانية ٧٤١ .

والطير (لعمر أبي الطير) عند أبي خراش الهذلي (١) ، والقدر (لعمر ما
قدر) عند أوس بن حجر (٢) .

وتألفت في القسم بعمر في هذا الموضع عدة أمور :

أولها : القسم بعمر الأموات في قول صخر الغي الهذلي :

لعمر أبي عمرو لقد ساقته المنايا إلى جدث يوزى له بالأهاضب
وأحر بهذا القسم أن يكون بربّ أبي عمرو وليس إلى عمر
أبي عمرو .

وثانيها : القسم بالطير في قول أبي خراش الهذلي :

لعمر أبي الطير المربة بالضحي على خالدٍ لقد وقعن على لحم (٣)

فهذا القسم يدفع أي علاقة بين عمرو والعمر ، فلا يقبل أن
يقسم أبو خراش بعمر أبي الطير التي أقامت على جدث خالد
تنوش لحمه . قد يقال : وماذا في ذلك ؟ ألا ترى إلى الشاعر
الجاهلي يتغنى بالطير التي تسقط على القتلى ؟ بل ألا ترى
إلى النابغة الذبياني كيف جعل الطير فوق جيش الحارث
الجهني تحلق عصائب إثر عصائب ، وكيف جعلها من
الضاريات الدوارب بالدماء ، فقال (٤) :

ذا ما فزوا بالجيش حاق فوقهم
عصائب طير تهدي بعصائب
بمساجبتهم حتى زفون مغارهم
من الضاريات بالدماء الدوارب

(١) ديوان العياشي ٢ : ١٥٤ .

(٢) الديلميان ١٠٦ .

(٣) المربة : النابغة الذبياني والوقوف .

(٤) العياشيان ٢ : ٤٢ .

فأقول : شتان ما هما ، فالنابغة يتحدث عن طير قومس
لحم اعداء سدوحه وابو خراش يتحدث عن طير شربة على
لحم ابن عمه ، فهذا يمدح وذاك يرثي . واز ان ابا خراش
يخلف بعمّر ابي الطير لخبار رثاؤه تشبها وليس حزنا ومسرة .

وثالثها : القسم بالقدر في قول اوس بن حجر :

لَعُمْرٍ مَا تَدْرُ اجْدَى بِحَصْرَ عَيْهِ
لَقَدْ أُخْلِلَ بِعَرَشِي أَيَّ اخْلَالِ

فقد اضاف اوس (عمراً) الى القدر . فأيّ قسم بعمّر القدر اذا
اخذنا برأي علمائنا ؟ وهل انتقل العرب في العصر الجاهلي من القسم
بعمّر الانسان الى القسم بعمّر الزمان ، فاضافوا زمانا الى زمان ؟

لا إخال إلا ان صخر العيّ الهذلي قد اقسام برّب ابي عمرو مسامح
الآجال ، والا ان ابا خراش قد اقسام برّب ابي الطير -- وما ادري
اذا كان ابو خراش الوثني يعتقد ان للطير ربا محسوسا -- وكذلك
لا اعتقد الا ان اوس بن حجر قد اقسام برّب القدر وليس بعمّر القدر .

عمّر مضافة الى اسم الجلالة

وترد عمّر مضافة الى اسم الجلالة تسريحا او عناية غير متصلة
باللام ، كقول عروة بن الورد (١) :

قَعِيدِكَ عَمْرُ اللهِ هَلْ تَعْلَمِينِنِي كَرِيمًا إِذَا اسْوَدَّ الْإِنَّمَالُ أُرْمَعِرَا
او متصلة بها ، كقول الاعشى (٢) :

تَلَمَّرٌ مِنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عِلَامَةً تَدْرًا تَبَيَّنَ نَسَبُهَا وَعِلَالُهَا

(١) الديوان ٦٤ .

(٢) الديوان ٢١ .

وكقوله (١) :

انني لعمُرُ الذي خَطَّتْ مناسِمُها تُخْدي وسيق اليه الباقِرُ الغيلُ (٢)

وكقوله (٣) :

لعمُرُ الذي حَجَّتْ قريشُ قطينه لقد كَدَّتْهم كَيْدُ امرئٍ غيرِ مُسندٍ

وكقول الحطيئة (٤) :

انني لعمُرُ الذي يسري اكمبتهِ عَظُمُ الحجيجِ لميقاتِ يوافيها

او متصلة بـ (لا) كقول النابغة الذبياني (٥) :

فلا عمُرُ الذي انى عليه وما رَفَعَ الحجيجِ الى الِالِ (٦)

او متصلة باللام ولا ، كقول النابغة ايضا (٧) :

فلا لعمُرُ الذي مسحت كعبتهُ وما هُرِّقَ على الانصابِ من جَسَدِ

او متصلة باللام و (ها) ، كقول زهير بن ابي سلمى (٨) :

تَعَامَها لعمُرُ الله ذا قسما فاقصدُ بذرعِكَ فانظر اين تَنسَلِكُ

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قول الرجل

(١) الديوان ٦٣ .

(٢) المناسم : جمع المناسم : وهو طرف خف البعير . وتخدي : من الوخذ ، وهو خلو الابل الواسع السريع . والباقر : قطع البقر . والغيل : المتلثات اللسان .

(٣) الديوان ١٨١ .

(٤) الديوان ٢٠٣ .

(٥) الديوان ١٥١ .

(٦) (٣) : قال هو حصل عرقبة .

(٧) الديوان ٢٥ .

(٨) الديوان ١٨٢ .

في القسم : لَعَمْرُ اللهِ (١) . وَعَلَّ الزَّيْبُودِي هَذَا بِقَوْلِهِ : لَانَ الْمُرَادُ بِالْعَمْرِ
عِمَارَةُ الْبَدَنِ بِالْحَيَاةِ فَهُوَ دُونَ الْبَقَاءِ وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ بِجَلِّ شَأْنِهِ وَتَعَالَى
عُلُوًّا كَبِيرًا (٢) .

واعترف ان عَمْرًا هنا لا يمكن ان تكون بمعنى (ريب) ، وهو المعنى
الذي جاز فيما سبق من الاساليب ، ولا يمكن ان تكون بمعنى العَمْر .
واتحول في هذا الموضع الى معنى قد سقطته قبل ، وهو (بيت) ،
فيكون القسم بَعَمْرٍ اللهُ قسما ببيت الله .

ويعزز هذا المعنى كثرة الحديث عن النجى في هذا الموضع ، كما
راينا في أبيات الاعشى والحطيئة والناطقة الذبياني .

عَمَّرَكَ اللهُ

هذا اسلوب قد مخضه النحويون مضمناً تحديداً ، ونظروا في نسبة
عَمَّرَ في عَمَّرَكَ ، ونصب لفظ الجلالة ، ولهم في ذلك آراء قد اجملها ابن
الشجري في اماليه .

واستمح القاريء عذراً اذا اقتبست نعتاً طويلاً لابي علي الفارسي
من امالي ابن الشجري ، فهذا المقتبس يظهر مبلغ الامت في جعل كَمَّرَ
بمعنى تعمير .

« وقال ابو علي : عَمَّرَكَ اللهُ مصدر استعملوه بعد حذف الزوائد . . .
واسله بالزيادة تَعَمَّرَكَ اللهُ . الا ترى ان الفعل لما ظهر بان على ما كانت
في قولك * عَمَّرَكَ اللهُ الا ما تَكَرَّرَتْ لَنَا * (٣) والاسم عليه : (عَمَّرَكَ اللهُ

(١) البخاري ، ايمان ١٣ .

(٢) ناج العروس — مادة عمر .

(٣) للاحوص ، وعجزه * هل كنت جارنا ايام ذي سلم * انظر شرح الاحوص ١٥٠ .
وهو من شواهد سيوييه ، وورد منسوبا الى الاحوص في امالي ابن الشجري
١ : ٢٤٩ ، وجاء في المقتضب ٢ : ٢٢٦ من غير نسبة .

تعميراً مثل تعميرك إياه نفسك) ، أي : سألت الله تعميرك مثل سؤالك إياه تعمير نفسك . فالتعمير الأول مضاف الى الفاعل يعني الكاف . قال : الاسمان الآخران مفعول بهما يعني إياه نفسك . قال : ثم اختصر هذا الكلام ، وحذفت زوائد المصدر « (١) » .

وقد أحسن ابن السجري استغلاق رأي أبي علي ، فقال شارحاً إياه : « ويجب أن تسمى قارك ما أقوله في تفسير قول أبي علي ، وذلك أن الأصل كما ذكر (عَمَّرَكَ اللهُ تَعْمِيراً مِثْلَ تَعْمِيرِكَ إِيَّاهُ نَفْسَكَ) فحذفوا الفعل والفاعل والمفعولين ، فبقي (تَعْمِيراً مِثْلَ تَعْمِيرِكَ إِيَّاهُ نَفْسَكَ) ، ثم حذفوا الموصوف ، الذي هو (تعميراً) وقامت صفة التي هي (مثل) مثله ، فبقي (تَعْمِيرُكَ إِيَّاهُ نَفْسَكَ) ، ثم حذفوا زوائد المصدر ، فبقي (عَمَّرَكَ إِيَّاهُ نَفْسَكَ) ، فوضع الظاهر في موضع المضمرة ، أعني وضعوا لفظة (الله) موضع (إياه) ، فصار (عَمَّرَكَ اللهُ نَفْسَكَ) ، فحذفوا المفعول الثاني - فبقي (عَمَّرَكَ اللهُ) « (١) » .

وقد كتبت التحوير ، أنفسهم مؤونة الاستدلال على أن عمراً في هذا الموضع تعني (رؤياً) ، وذلك في شاهد ذكر السيوطي أنه لولبال بن جهم الأندلسي أو لولبال بن الكليل القزاري ، وهو :

السم تعلمسي يا عمرك الله انني

كريم على حين الكرام قليل

وانني لا أخزي اذا قيل مهابتي

سختي وأخزي ان يقال بخيل

(١) ١ : ٢٥٠ .

(٢) ١ : ٢٥٠ .

(٣) شرح شواهد الشعر ٨٨٤ .

والشاهد عند النحويين في (حين) الظرف المبهم عنهما يضاهي الى
جملة اسمية ، وليس في (يا عَمْرُكَ اللهُ) التي يظهر فيها حرف النداء
قبل (عمرك الله) .

ولذا أجدني محتاجا الى تقدير (يا) قبل (عَمْرُكَ اللهُ) في قول
المرقش الاصفر (١) :

فَعَمْرُكَ اللهُ هَلْ تَدْرِي إِذَا
مَا لُمْتُ فِي حُبِّهَا نِيَمَ تَلْحُومِ

فالله عز و علا هو ربّ صاحبة مَوْبَالِ وَرَبِّ سَاحِبِ المَرْتَشِ ، والكلام
نداء محترض جاء مفيدا الدعاء .

وخلاصة القول أن عَمْرًا في الشعر الجاهلي تدل على (رَأَى) إذا
اضيفت الى ضمير او الى اسم غير لفظ الجلالة او جاءت في اسلوب
(عَمْرُكَ اللهُ) ، وتدل على (بيت) إذا اضيفت الى اسم الجلالة لفظا
او كناية .

المصادر والمراجع

- أسماء المغتالين لابن حبيب (نواذر المخطوطات ٦) ، تحقيق عبدالسلام
هارون ، البياي الحايي ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ،
بغداد ، ١٩٧٩ م .
- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
- الامالى الشجرية لابن الشجري ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ،
١٣٤٩ هـ .
- بهجة المجالس وانس المجالس لابن عبد البر ، تحقيق محمد مرسي
الخواي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ٢ .
- البيان والبيان الجاحظ ، تحقيق حسن السندوبي ، المكتبة التجارية ،
القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- تاج العربيس الزبيدي ، دار ايبيا ، بنغازي ، ؟
- تفسير التيران الطوسي ، دار الاندلس ، بيروت ، ؟
- تفسير قران القرآن ورفائيل الفرقان للقمي النيسابوري (علي
هلمس جامع البيان) ، بولاق ، ١٢٢٧ هـ .
- التفسير الكبير للفخر الرازي ، المطبعة البهية ، القاهرة ، ١٢٥٧ هـ .
- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، بولاق ، ١٢٢٨ هـ .
- جواهر الحسان في تفسير القرآن للطوسي ، مؤسسة الاعلمي ،
بيروت ، ؟

- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، تحقيق عبدالمنعم
هارون ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- ديوان الاحوص الانصاري . جمع عادل سليمان جمال وندوية ،
الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- ديوان الاعشى الكبير ، شرح محمد محمد حسين ، مجلة الادب ،
القاهرة ، ١٥ ، ١٩٥٠م .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٦٩م .
- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار
بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- ديوان بشر بن ابي خازم ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة
والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٢م .
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق
نعمان امين طه ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨م .
- ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ،
١٩٤٤م .
- ديوان سلامة بن جندل ، رواية الامسي وامي عمرو الشيباني ،
المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٦٨م .
- ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبدالمنعم
الملوحي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٦م .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناسر الدين الاسد ، دار صادر ،
بيروت ، ١٩٦٧م .

- ديوان شعر الحاضرة ، تحقيق ناصرالدين الاسد ، مجلة معهد
المخطوطات ، المجلد ١٥ ، ١٩٦٦ م .
- ديوان شعر التلمس الضيمى ، رواية الاثرم وأبي عبيدة عن
الاصمعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات
العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ديوان شعر النقب المبردي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد
المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق علي الجندي ، مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ديوان عبيد بن ابرص ، تحقيق حسين نصار ، البابي الحلبي ،
القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- ديوان عمرو بن قيسية ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد
المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ديوان عنتر ، تحقيق محمد سعيد مولاوي ، المكتب الاسلامي ،
١٩٧٠ م .
- ديوان ابيد بن ربيعة ، تحقيق احسان عباس ، وزارة الارشاد ،
الكويت ، ١٩٦٢ م .
- ديوان الزبارة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ديوان الهذليين ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- شرح شواهد المغني للسيوطي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ؟

- شرح الفصل لابن يعيش ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ؟
- شعر تابط شرا ، صنعة سليمان داود القوه غولي وبيجار تيمان جاسم ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٧٣ م .
- شعر عبدة بن الطبيب ، صنعة يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧١ م .
- شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي ، جمع مطاع الطرايطي وتتميمه ، دمشق ، ١٩٧٤ م .
- شعر النمر بن تولب ، صنعة نوري حمودي القيس ، المارون ، بنسداد ، ؟
- شعراء النصرانية قبل الاسلام للويس تينور ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- الصحاح للجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- صحيح البخاري بحاشية السندي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ؟
- الثاموس المحيط للفيروز آبادي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٦٥٢ م .
- الكتاب لسيبويه ، بولاق ، ١٣١٦ هـ .
- الكشاف للزمخشري ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ؟
- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٦٥٢ م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، دار مكتبة اليعاقبة ، بيروت ، ١٣٠٨ هـ .

— المحبر لأبن حبيب ، تحقيق ايلزه ليختن ستيتسر ، دار المعارف
العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٤٢م .

— معجم الشعراء المرزباني ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، البابي
الحلي ، القاهرة ، ١٩٦١م .

— المنفل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ، دار العلم
للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م .

— الفضليات المفضل الضبي ، تحقيق احمد محمد شاکر وعبدالسلام
هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

— المنتخب البرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة ، المجلس الاعلى
للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

— المنق في اخبار قروش لابن حبيب ، تحقيق خورشيد احمد فاروق ،
دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٦٤م .

— نسب قروش المصعب الزبيرى ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

— نشوء العرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الاندلسي ، تحقيق
نصيرت عبدالرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ، ١٩٨١م .